ضمن سلسلة الردود على النظامية الجدد



القول في امتحان أهل الفترة

تأليف

محمد بن سعيد الأندلسي حفظه الله





ضمن سلسلة الردود على النظامية الجدد

القول في:
امتحان أهل الفترة

صفر ١٤٤٥ هـ

تأليف



الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ، أَمَّا بَعْدُ، فَهَذَا تَأْصِيلٌ عِلْمِيٌّ فِي مَسْأَلَةٍ قَدْ تَكَلَّمَ فِيهَا السَّلَفُ وَقُتِلَتْ بَحْثًا وَتَنَاوُلًا، وَوَرَدَتْ فِيهَا الْآثَارُ الْمُتَوَافِرَةُ وَالْأَخْبَارُ الْمُتَكَاثِرَةُ الَّتِي لَمْ تَتْرُكْ لِمُتَأَخِّرٍ رَأْيًا أَوْ مَقَالًا، بَلْ لَيْسَ لَهُ فِيهَا إِلَّا الِاتِّبَاعَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى فَهْمِ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَالْمَسْأَلَةُ هِيَ: حُكْمُ أَهْلِ الْفَتْرَةِ الْمُكَلَّفِينَ قَبْلَ بِعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ وَقَعَ الْوِفَاقُ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ فِي أَنَّ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ الْفَتْرَةِ فِي الدُّنْيَا كُفَّارٌ، كَمَا قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَنٍ: "بَلْ أَهْلُ الْفَتْرَةِ الَّذِينَ لَمْ تَبْلُغْهُمُ الرِّسَالَةُ وَالْقُرْآنُ وَمَاتُوا عَلَى الْجَاهِلِيَّةِ **لَا يُسَمَّوْنَ مُسْلِمِينَ، بِالْإِجْمَاعِ، وَلَا يُسْتَغْفَرُ لَهُمْ**" [1]... وَأَمَّا فِي الْآخِرَةِ: فَهَلْ يُمْتَحَنُونَ؟ وَمَا حُكْمُهُمْ بَعْدَ الِامْتِحَانِ؟ هَذَا مَا سَنَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ.

وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّظَّامِيَّةُ الْجُدُدُ بِقَوْلٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ أَوِ الْخَلَفِ، فَقَالُوا: إِنَّ مَنْ أَثْبَتَ الِامْتِحَانَ فِي عَرَصَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَعَ إِثْبَاتِ عَذَابِ الْمُشْرِكِ الْمُكَلَّفِ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ تَعَالَى!! وَهَذَا الْقَوْلُ الْمُحْدَثُ لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ قَبْلَهُمْ، بَلْ لَمْ يَقُلْ بِهِ مُبْتَدِعٌ قَطُّ، وَلَازِمُهُ تَكْفِيرُ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَأَهْلِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِ التَّفَاسِيرِ بِالْآثَارِ قَاطِبَةً، كَمَا سَيَتَبَيَّنُ لَكَ ذَلِكَ جَلِيًّا، وَيَكْفِيكَ أَنْ تَفْتَحَ كُتُبَ التَّفَاسِيرِ بِالْآثَارِ، كَتَفْسِيرِ يَحْيَى بْنَ سَلَّامٍ وَابْنِ الْمُنْذِرِ وَعَبْدِ الرَّزَّاقِ وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ وَالطَّبَرِيِّ، عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] لِتَرَى أَنَّهُمْ قَدْ أَوْرَدُوا الْآثَارَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِالْفَتْرَةِ تَحْتَ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَقَدْ أَوْرَدَهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ، وَإِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ فِي مُسْنَدِهِ، وَعَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الذُّهَلِيِّ، وَوَرَدَتْ فِي كُتُبِ السُّنَّةِ وَالْأَثَرِ وَأَقَرَّهَا الْأَئِمَّةُ وَتَدَاوَلُوهَا دُونَ إِنْكَارٍ وَنَكِيرٍ، **بَلْ نَقُولُ إِنَّ الِامْتِحَانَ هُوَ قَوْلُ جَمِيعِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ،** حَكَاهُ عَنْهُمُ الْأَشْعَرِيُّ فِي كِتَابِ الْمَقَالَاتِ [2]، وَكِتَابِ الْإِبَانَةِ [3] الَّذِي اتَّفَقَ أَصْحَابُهُ عَلَى أَنَّهُ تَأْلِيفُهُ... حَتَّى جَاءَ أَفْرَاخُ النَّظَّامِيَّةِ الْمُعْتَزِلَةِ الَّذِينَ تَعَارَضَتْ هَذِهِ الْآثَارُ مَعَ

[1] حكم تكفير المعين - الرسالة السادسة مِنْ كتاب: عقيدة الموحدين والرد على الضلال المبتدعين (١٥١)

[2] انظر: مقالات الإسلاميين (٢٩٦)

[3] الإبانة عن أصول الديانة (ص٩)، وحكاه الأشعري عنهم في "المقالات" وحكى اتفاقهم عليه، وإنْ كان قد اختار هو فيها أنَّهم مردودون إلى المشيئة

دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْعَذَابَ فَرْعٌ عَنْ حُجَّةِ الْمِيثَاقِ فَقَطْ!! فَكَفَرُوا بِهَذِهِ الْآثَارِ، وَكَفَّرُوا مَنْ قَالَ بِهَا -عَلَى طَرِيقَةِ أَسْلَافِهِمُ الْمُعْتَزِلَةِ فِي دَفْعِ الْآثَارِ بِنِتَاجِ الْمُقَدِّمَاتِ الْعَقْلِيَّةِ-، وَنَحْنُ نُؤْمِنُ بِهَذِهِ الْآثَارِ، وَنُؤْمِنُ أَنَّ اللهَ يُعَذِّبُ مَنْ لَقِيَهُ مُشْرِكًا مُكَلَّفًا مِنْ أَهْلِ الْفَتْرَةِ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِالِامْتِحَانِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ بِأَدِلَّتِهِ. وَحَالُ النَّظَّامِيَّةِ الْجُدُدِ لَمَّا تُورِدُ لَهُمُ الْآثَارَ الصَّحِيحَةَ فِي هَذَا الْبَابِ، يَقُولُونَ: فِيهَا عِلَّةٌ، عَلَى طَرِيقَةِ الْمِرِّيسِيَّةِ الَّذِينَ رَوَى عَنْهُمُ الْخَلَّالُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْوَرَّاقُ، قَالَ: ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ التِّرْمِذِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ الْبَزَّارِ، يَقُولُ: "جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْمِرِّيسِيِّ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أُذَاكِرُ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ، فَكُلَّمَا ذَكَرُوا الْحَدِيثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ رَدَدْتُهُ. قَالَ: يَقُولُونَ: أَنْتَ كَافِرٌ. قَالَ: صَدَقُوا. إِذَا ذَكَرُوا الْحَدِيثَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَرَدَدْتَهُ، يَقُولُونَ: أَنْتَ كَافِرٌ. قَالَ: فَكَيْفَ أَصْنَعُ. **قَالَ: إِذَا ذَكَرُوا حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ قُلْ**: **صَدَقْتَ، ثُمَّ اضْرِبْهُ بِعِلَّةٍ، فَقُلْ: لَهُ عِلَّةٌ**" [١]... فَلَمَّا تُورِدُ لَهُمُ الْأَثَرَ الَّذِي رَوَاهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ [٢]، عَنْ مَعْمَرٍ [٣]، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ [٤]، عَنْ أَبِيهِ [٥]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللهُ أَهْلَ الْفَتْرَةِ: الْمَعْتُوهُ وَالْأَصَمُّ وَالْأَبْكَمُ وَالشُّيُوخُ الَّذِينَ لَمْ يُدْرِكُوا الْإِسْلَامَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ..."، **الْأَثَرُ الَّذِي إِسْنَادُهُ مُسَلْسَلٌ بِالْأَئِمَّةِ الْحُفَّاظِ، وَلَا مَطْعَنَ فِيهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ عِنْدَ أَهْلِ الْحَدِيثِ قَاطِبَةً، وَلَهُ حُكْمُ الرَّفْعِ، يَقُولُونَ فِيهِ عِلَّةٌ!! فَالْمِرِّيسِيَّةُ حَفِظُوا عَنْ شَيْخِهِمْ كَلِمَةَ: فِيهِ عِلَّةٌ!! وَإِذَا وُقِفُوا عَلَى الْمِحَكِّ فِي تَكْفِيرِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي قِلَابَةَ وَمُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ وَيَحْيَى بْنِ سَلَّامٍ وَأَبِي صَالِحٍ وَالْإِمَامِ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَجُمْهُورِ السَّلَفِ، فَرُّوا مُنَكَّسِينَ، وَإِلَى اللهِ الْمُشْتَكَى مِنْ غُرْبَةِ الْعِلْمِ فِي هَذَا الزَّمَانِ.**

[١] السنة لأبي بكر بن الخلال (١٠٥/٥)

[٢] الحافظ الكبير، عالم اليمن، أبو بكر الحِمْيَري، مولاهم الصنعاني الثقة، "سير أعلام النبلاء - ط الرسالة" (٥٦٥/٩): "وَقَالَ حَنْبَلٌ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ يَقُوْلُ: إِذَا اخْتَلَفَ أَصْحَابُ مَعْمَرٍ، فَالحَدِيْثُ لِعَبْدِ الرَّزَّاقِ".

[٣] معمر بن راشد، الإمام الحافظ، شيخ الإسلام، أبو عروة بن أبي عمرو الأزدي، مولاهم البصري، نزيل اليمن، "سير أعلام النبلاء - ط الرسالة" (٨/٧): "قَالَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ: قِيْلَ لِلثَّوْرِيِّ: مَا مَنَعَكَ مِنَ الزُّهْرِيِّ؟ قَالَ: قِلَّةُ الدَّرَاهِمِ، وَقَدْ كَفَانَا مَعْمَرٌ".

[٤] عبد الله بن طاوس بن كيسان اليماني الخولاني الهمداني، الإمام، المحدث، الثقة، أبو محمّد اليماني، "سير أعلام النبلاء - ط الرسالة" (١٠٣/٦): "وَقَالَ مَعْمَرٌ: كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالعَرَبِيَّةِ، وَأَحْسَنِهِم خُلُقًا، مَا رَأَينَا ابْنَ فَقِيْهٍ مِثْلَهُ".

[٥] الإمام طاوس بن كيسان، الفقيه، القدوة، عالم اليمن، أبو عبد الرحمن الفارسي، ثم اليمني، الجندي، الحافظ، أحد أئمة الإسلام المشهورين

الْعَذَابُ فَرْعٌ عَنْ قِيَامِ الْحُجَّةِ الرِّسَالِيَّةِ

نَقُول إنَّ العذاب في الدنيا -كعذاب الأقوام المُكَذِّبَة، والعذاب الأبدي السرمدي في الآخرة- يكون بعد إقامة الحجة الرسالية بإرسال الرسل، وهذا الأصل مُحْكَم في كتاب الله تعالى، قد دَلَّت عليه آيات كثيرة، ومنها:

- قال تعالى: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٨-٩]، وهذه الآية تكفي في الدلالة على أنَّ كل مَنْ دَخَل النار شَهِد على نفسه أنَّه قد أتاه النذير والرسول وقامت عليه حجة البلاغ، قال ابن قتيبة: "تَكَادُ تَنْشَقُّ غَيْظًا عَلَى الْكُفَّارِ، كُلَّما أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ، جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ، سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا، سُؤَالَ تَوْبِيخٍ، أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ، رَسُولٌ يُنْذِرُكُمْ"[١]، وقال الشنقيطي: "وَمَعْلُومٌ أَنَّ قَوْلَهُ ﷻ: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ يَعُمُّ جَمِيعَ الْأَفْوَاجِ الْمُلْقِيْنَ فِي النَّارِ... وقوله: ﴿كُلَّمَا﴾ تَدُلُّ عَلَى عُمُومِ أَزْمَانِ الْإِلْقَاءِ فَتَعُمُّ الْمُلْقِيْنَ؛ وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ أَنَّ الْمَوْصُولَاتِ كَالَّذِي وَالَّتِي وَفُرُوعَهُمَا مِنْ صِيَغِ الْعُمُومِ؛ لِعُمُومِهَا فِي كُلِّ مَا تَشْمَلُهُ صِلَاتُهَا، وَعَقَدَهُ فِي "مَرَاقِي السُّعُودِ" بِقَوْلِهِ فِي صِيَغِ الْعُمُومِ:

صِيَغُهُ كُلٌّ أَوِ الْجَمِيـــــــــــــــــعُ ... وَقَدْ تَلَا الَّذِي الَّتِي الْفُـــــــرُوعُ

وَمُرَادُهُ بِالْبَيْتِ: أَنَّ لَفْظَةَ "كُلٍّ، وَجَمِيعُ، وَالَّذِي، وَالَّتِي" وَفُرُوعَهُمَا كُلُّ ذَلِكَ مِنْ صِيَغِ الْعُمُومِ؛ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ إلى قوله ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْكُفَّارِ، وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ النَّارِ قَدْ أَنْذَرَتْهُمُ الرُّسُلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَعَصَوْا أَمْرَ رَبِّهِمْ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ، وَنَظِيرُهُ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝٣٦ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا

[١] تفسير البغوي - إحياء التراث (١٢٦/٥)

غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٦-٣٧]، عَامٌّ أَيْضًا فِي جَمِيعِ أَهْلِ النَّارِ، وَنَظِيرُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِى النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَالٍ﴾ [غافر: ٤٩-٥٠]، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ النَّارِ أَنْذَرَتْهُمُ الرُّسُلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا" [١].

- وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧١-٧٢]، عن قتادة بن دعامة مِنْ طريق سعيد، في قوله: ﴿زُمَرًا﴾، قال: "جَمَاعَاتٍ" [٢].
- وقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧]، عن قتادة بن دعامة، ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾، قال: "اِحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِالْعُمُرِ وَالرُّسُلِ" [٣].
- وقوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، عن إسماعيل السُّدِّيِّ مِنْ طريق أسباط، في قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾، "فَيَقُولُوا: مَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا" [٤]، ووجه الدلالة

[١] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - ط عطاءات العلم (٥٦١/٣)

[٢] أخرجه ابن جرير (٢٦٤/٢٠)

[٣] عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن أبي حاتم

[٤] أخرجه ابن جرير (٦٩٣/٧)

أنَّ الله ﷻ قَطَعَ الحجة على الناس بإرسال الرسل إليهم مُبَشِّرين ومُنْذِرين؛ حتى لا يَعْتَذِرُوا يوم القيامة بعدم النِّذارة، فَصَرَّح في هذه الآية بأنَّه لا بد أنْ يَقْطَع حجة كل أحد بإرسال الرسل مُبَشِّرين مَنْ أطاعهم بالجنة، ومُنْذِرين مَنْ عصاهم بالنار، وهذه الحجة التي أَوْضَحَ هنا، قَطَعَهَا بإرسال الرسل مُبَشِّرين ومُنْذِرين، بَيَّنَهَا في آخر سورة طه: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه: ١٣٤]، وأشار لها في سورة القَصَصِ: ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص: ٤٧]، وقوله: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٩]، وكقوله: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ [الأنعام: ١٥٥-١٥٧]، إلى غير ذلك مِنَ الآيات.

- وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، عن قتادة بن دعامة مِنْ طريق سعيد، قوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، "**إِنَّ الله ﷻ لَيْسَ يُعَذِّبُ أَحَدًا حَتَّى يَسْبِقَ إِلَيْهِ مِنَ اللهِ خَبَرٌ، أَوْ يَأْتِيهِ مِنَ اللهِ بَيِّنَةٌ، وَلَيْسَ مُعَذِّبًا أَحَدًا إِلَّا بِذَنْبِهِ**" [١]، وهذا صريح مِنْ كلام قتادة أنَّ العذاب عام في الدنيا والآخرة، ومَنْ قال أنَّ هذا في التعذيب الدنيوي دون الأُخروي فهو خلاف ظاهر القرآن، وتَحَكُّمٌ فيه؛ لأنَّ ظاهر القرآن انتفاء التعذيب مطلقًا، فهو أعم مِنْ كونه في الدنيا فقط، **وصَرْفُ القرآن عن ظاهره ممْنوع إلا بدليل يَجِبُ الرجوع إليه، ولا دليل يُخَصِّصها بالعذاب الدنيوي، بل سياق الآية في الآخرة، كما قال تعالى قبلها**: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾

[١] أخرجه ابن جرير (١٤/٥٢٦)

اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣-١٤]، وكيف يُقال أنَّ الله لا يعذب العذاب الأدنى إلا بإقامة الحجة الرسالية ويعذب العذاب السرمدي الأبدي بدون إقامة الحجة الرسالية!! فمقتضى العدل كما أَخْبَرَ الله في هذه الآيات أنَّ العذاب في الدنيا والآخرة يكون بعد إقامة حجج الله على خلقه -الميثاق والفطرة والعقل والرسالة- وهي الحجة البالغة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ۖ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وسبق معنا أدلة كثيرة تؤيدها على شمول التعذيب في الآخرة، كقوله: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ﴾، وهو دليلٌ على أنَّ جميع أفواج أهل النار ما عُذِّبُوا في الآخرة إلا بعد إنذار الرسل، كما تقدم إيضاحه في هذا الفصل.

وفي السُّنَّة، عن المُغيرة، قال: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: "لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا مَعَ امْرَأَتِي لَضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ غَيْرَ مُصْفِحٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: تَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ، وَاللهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، **وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ الْمُبَشِّرِينَ وَالْمُنْذِرِينَ**، وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللهُ الْجَنَّةَ" [١].

وسيأتي معنا ذِكْر أحاديث الفترة، وهي تدل على أنَّ الله ﷻ لا يعذب أحدًا إلا بعد أنْ يُقيم عليه الحجة بإرسال الرسول، ومَنْ لم تَقُم عليه الحجة في الدنيا تُقَام عليه الحجة في عَرَصَات القيامة، مِصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، وأحاديث الفترة أَوْرَدَهَا السلف تفسيرًا لهذه الآية، **وهذا أكبر شاهدٍ أنَّ هذا فَهْم السلف: في أنَّ أحاديث الفترة هي مُفَسِّرة لآية الإسراء في إقامة الحجة على أهل الفترة في عَرَصَات القيامة، وأنَّ العذاب فرعٌ عن إقامة الحجة كما بيَّنَّا في هذا الفصل.**

[١] صحيح البخاري - ط السلطانية (١٢٣/٩)

الْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ الْوَارِدَةُ فِي أَهْلِ الْفَتْرَةِ

بدايةً نَقول إنَّ الفترة [١] هي انقطاع ما بين رسولين، وهذا إجماع بين المُفسِّرين، والمَقصود بالفترة هي بين عيسى ﵇ ومحمد ﷺ، وروي عن قتادة في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩]، قال: "كَانَ بَيْنَ عِيسَى وَمُحَمَّدٍ ﷺ خَمْسُمِائَةٍ وَسِتُّونَ سَنَةٍ" [٢]، وقيل غير ذلك.

والآثار الواردة في الفترة ذَكرها أهل التفاسير بالأثر، كابن المنذر، وعبد الرزاق، وابن أبي حاتم، والطبري، والسيوطي في "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، تحت تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، "**أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ الْمُنْذِرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ**، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَمَعَ اللهُ أَهْلَ الْفَتْرَةِ: الْمَعْتُوهُ وَالْأَصَمُّ وَالْأَبْكَمُ وَالشُّيُوخُ الَّذِينَ لَمْ يُدْرِكُوا الْإِسْلَامَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا أَنُ ادْخُلُوا النَّارَ، فَيَقُولُونَ: كَيفَ وَلَمْ تَأْتِنَا رُسُلٌ؟ قَالَ: وَأَيْمُ اللهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِمْ، فَيُطِيعُهُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُطِيعَهُ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﵁: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾" [٣]، **وأخرجه الطبري**، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، قَالَ: ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ ثَوْرٍ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَمَعَ اللهُ ﷻ نَسَمَ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْفَتْرَةِ وَالْمَعْتُوهِ وَالْأَصَمِّ وَالْأَبْكَمِ، وَالشُّيُوخِ الَّذِينَ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَقَدْ خَرِفُوا، ثُمَّ أَرْسَلَ رَسُولًا أَنُ ادْخُلُوا النَّارَ، فَيَقُولُونَ: كَيْفَ وَلَمْ يَأْتِنَا رَسُولٌ، وَأَيْمَ اللهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِمْ، فَيُطِيعُهُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُطِيعَهُ قَبْلُ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾،

[١] الفترة في اللغة: الانكسار والضعف، وفتر الشيء والحر وفلان، يفتُر ويفتِر فتورًا وفتارًا: سكن بعد حدَّة ولانَ بعد شدَّة، وفتره الله تفتيرًا وفتَّر هو. وقيل: فتر أي أقام وسكن، وقيل فتَّر المطر: فرغ ماؤه وكفَّ وتحيَّر. والفَتَر: هو الضعف، وفتر جسمه: لانت مفاصله، وتقول: أجد في نفسي فترة وهي كالضعفة، ويقال للشيخ الكبير: قد علته كبره وعرته فترة. وأفتره الداء: أي أضعفه، وجاء في الحديث الشريف أنَّ رسول الله ﷺ «نَهَى عَنْ كُلِّ مُسْكِرٍ وَمُفَتِّرٍ». لسان العرب لابن منظور (ج٥، ص٤٣)

[٢] تفسير الطبري = جامع البيان - ط دار التربية والتراث (١٥٦/١٠)

[٣] الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٢٥٢/٥)

حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثَنَا الْحُسَيْنِ، قَالَ: ثَنَا أَبُو سُفْيَانَ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ نَحْوَهُ" [١].

وهذا التفسير مِنْ أبي هريرة حجة على النَّظَّامية الذين يفهمون القرآن على أهوائهم بل يُكَفِّرون مَنْ يَفهم كلام الله بفهم الصحابة الكرام، وهذا الأثر له حُكْم الرفع، وقد أَقَرَّه أرباب التفاسير بالأثر، قال الدارمي: "هَذَا حَدَثٌ كَبِيرٌ فِي الْإِسْلَامِ، وَظُلْمٌ عَظِيمٌ أَنْ يَتْبَعَ تَفْسِيرُكُمْ كِتَابَ اللهِ بِلَا أَثَرٍ، وَيُتْرَكَ الْمَأْثُورُ فِيهِ الصَّحِيحُ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، رضي الله عنهم" [٢]، وهذا الصنيع مآله إلى الزندقة والخروج مِنَ الإسلام؛ كما قال البربهاري: "كُلُّ بِدْعَةٍ أُحْدِثَتْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَانَ أَوَّلُهَا صَغِيرًا يُشْبِهُ الْحَقَّ، فَاغْتَرَّ بِذَلِكَ مَنْ دَخَلَ فِيهَا، ثُمَّ لَمْ يَسْتَطِعِ الْمَخْرَجَ مِنْهَا، فَعَظُمَتْ وَصَارَتْ دِينًا يُدَانُ بِهِ، فَخَالَفَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، فَخَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ" [٣]، وقد روي آثار في تورع السلف عن التفسير ومنها:

- رُوِيَ عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: أَدْرَكْتُ أَصْحَابَ عَبْدِ اللهِ، وَأَصْحَابَ عَلِيٍّ وَلَيْسَ هُمْ لِشَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ أَكْرَهُ مِنْهُمْ لِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، قَالَ: وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَقُولُ: أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لَا أَعْلَمُ" [٤].
- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ" [٥].
- عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، قَالَ: "سَأَلْتُ عَبِيدَةَ عَنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ، فَقَالَ: عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ وَالسَّدَادِ، فَقَدْ ذَهَبَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْلَمُونَ فِيمَ أُنْزِلَ الْقُرْآنُ" [٦].

---

[١] تفسير الطبري = جامع البيان - ط دار التربية والتراث (١٧/ ٤٠٢)

[٢] الرد على الجهمية (١/٩٢)

[٣] طبقات الحنابلة (٢/١٨)

[٤] مصنف ابن أبي شيبة (١٣٦/٦)

[٥] نفس المصدر

[٦] مصنف ابن أبي شيبة (١٣٥/٦)

ولمَّا تَقْرأ هذه الآثار، تَتعجب مِنْ تَطاول الأقزام اليوم على كتاب الله تحريفًا وتصريفًا، والله المُستعان.

وقد روى أصحاب السُّنَّة أحاديث الامتحان مِنْ حديث الأسود بن سريع ومِنْ حديث أبي هريرة وأنس وثوبان ومعاذ وأبي سعيد، وهذا سَرْدُها:

- قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللهِ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعَةٌ يَحْتَجُّونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ، قَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الهَرَمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ، مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ. فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنُ ادْخُلُوا النَّارَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا" [١]، وَكَذَا رَوَاهُ مَعْمَرٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَوْقُوفًا، وسَبَقَ معنا.

---

[١] **فيه ضعف**: أخرجه أحمد في المسند (٤/٢٤)، وأخرجه الطبراني (٨٤١) عن جعفر بن محمد الفريابي، عن إسحاق بن راهويه بهذا الإسناد. والبيهقي في الاعتقاد (ص١٦٩)، والبزار (٢١٧٤) مِنْ طريقين عن معاذ بن هشام، به.

وذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٢٥٢)، وزاد نسبته إلى إسحاق بن راهويه، وأبي نعيم في المعرفة، وابن مردويه.

وأخرجه أحمد (٢٤/٤)، والبيهقي (ص١٦٩)، والبزار (٢١٧٥) مِنْ طريقين عن أبيه، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، وإسناده صحيح كما قال البيهقي.

وأخرجه ابن أبي عاصم (٤٠٤) مِنْ طريق علي بن زيد -وهو ابن جدعان- عن أبي رافع، عن أبي هريرة.

وذكره الهيثمي في المجمع (٧/٢١٦) وقال: "رِجَالُ أَحْمَدَ فِي طَرِيقِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رِجَالُ الصَّحِيحِ، وَكَذَلِكَ رِجَالُ الْبَزَّارِ فِيهِمَا".

وأخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥/٤٥) مِنْ طريقين عن معمر، عن همام عن أبي هريرة موقوفاً بلفظ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَمَعَ اللهُ ﷻ نَسَمَ الَّذِينَ مَاتُوا فِي الْفَتْرَةِ وَالْمَعْتُوهِ وَالْأَصَمِّ وَالْأَبْكَمِ، وَالشُّيُوخِ الَّذِينَ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَقَدْ خَرِفُوا...»، فَذَكَر نحوه، وفي آخره: قال أبو هريرة: «اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾».

وقال الهيثمي في المجمع (٢١٦/٧): "رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ". وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، قتادة -وهو ابن دعامة السدوسي- مُدلِّس وقد عنعن، ثم إنَّ سماعه مِنَ الأحنف بن قيس مُستبعَد؛ لأنَّه وُلد في البصرة سنة (٦٠ هـ) على أحد الأقوال، وتوفي الأحنف سنة (٦٧ هـ) على أصح الأقوال، ومعاذ بن هشام -وهو الدستوائي- مُختلَف فيه، حَسَن الحديث؛ فقد وَثَّقه ابن مَعين مَرَّة، وقال مَرَّة: "صَدُوقٌ، لَيْسَ بِحُجَّةٍ"، وقال مرَّة: "لَمْ يَكُنْ بِالثِّقَةِ"، وتوقَّف فيه أبو داود، ووَثَّقَه ابن قانع، واحْتَجَّ به الشيخان، وقال ابن عدي: "رُبَّمَا يَغْلَطُ فِي الشَّيْءِ بَعْضَ الشَّيْءِ، وَأَرْجُو أَنَّهُ صَدُوقٌ"، وذَكَرَه ابن حبان في الثقات.

- قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنِ قَتَادَةَ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، مِثْلَ هَذَا غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِي آخِرِهِ: "فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا يُسْحَبُ إِلَيْهَا" [١]، وصَحَّحه الحافظ عبد الحق [٢] والبيهقي [٣]، وقال: «إِسْنَادٌ صَحِيحٌ، وَرُوِيَ بِإِسْنَادٍ آخَرَ فِيهِ ضَعْفٌ" [٤]. وقال ابن القيم: "وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ مُتَّصِلٌ" [٥].

- وقَالَ الْحَافِظُ أَبُو يَعْلَى: حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ لَيْث، عَنْ عَبْدِ الْوَارِثِ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يُؤْتَى بِأَرْبَعَةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: بِالْمَوْلُودِ، وَالْمَعْتُوهِ، وَمَنْ مَاتَ فِي الْفَتْرَة، وَالشَّيْخِ الْفَانِي الْهَرِمِ، كُلُّهُمْ يَتَكَلَّمُ بِحُجَّتِهِ، فَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ لِعُنُقٍ مِنَ النَّارِ: ابْرُزْ. وَيَقُولُ لَهُمْ: إِنِّي كُنْتُ أَبْعَثُ إِلَى عِبَادِي رُسُلًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَإِنِّي رَسُولُ نَفْسِي إِلَيْكُمُ ادْخُلُوا هَذِهِ. قَالَ: فَيَقُولُ مَنْ كُتِبَ عَلَيْهِ الشَّقَاءُ: يَا رَبِّ، أَنَّى نَدْخُلُهَا وَمِنْهَا كُنَّا نَفِرُّ؟ قَالَ: وَمَنْ كُتِبَتْ عَلَيْهِ السَّعَادَةُ يَمْضِي فَيَقْتَحِمُ فِيهَا مُسْرِعًا، قَالَ: فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنْتُمْ لِرُسُلِي أَشَدُّ تَكْذِيبًا وَمَعْصِيَةً، فَيُدْخِلُ هَؤُلَاءِ الْجَنَّةَ، وَهَؤُلَاءِ النَّارَ» [٦].

---

[١] **إسناده حسن**، مِنْ أَجْل معاذ بن هشام -وهو الدستوائي- صدوق، وقد سلف الكلام عليه في الرواية السالفة، وقتادة -وهو ابن دعامة السدوسي- سماعه مِنَ الحَسَن- وهو البصري- ثابت، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. أبو رافع -هو نُفَيْعٌ الصائغ- وأخرجه الضياء المقدسي في المختارة (١٤٥٥) مِنْ طريق الإمام أحمد، بهذا الإسناد.

وأخرجه البيهقي في الاعتقاد (ص١١١) مِنْ طريق علي بن المديني، به.

وأخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (٤٢)، وأخرجه أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢/٢٥٥) مِنْ طريق عبيد الله بن عمر، كلاهما عن معاذ بن هشام، به.

وأخرجه بنحوه البزار (٢١٧٥) -زوائد- مِنْ طريق محمد بن المُثَنَّى، عن معاذ بن هشام، به.

وأخرجه إسحاق بن راهويه (٥١٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٠٤) مِنْ طريق علي بن زيد بن جدعان، عن أبي رافع، به.

وأخرجه بنحوه موقوفًا على أبي هريرة ابن جرير الطبري في جامع البيان (١٥/٥٤) مِنْ طريقين عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة.

[٢] طريق الهجرتين وباب السعادتين - ط عطاءات العلم (٢/٨٦٦)

[٣] الاعتقاد (١٦٩)

[٤] القضاء والقدر (ص٣٦١)

[٥] أحكام أهل الذمة (٢/١١٤٩)

[٦] **ضعيف**: مسند أبي يعلى (٧/٢٢٥)، ومسند البزار برقم (٢١٧٧) "كشف الأستار"، وفيه ليث بن أبي سليم ضعيف، وعبد الوارث قال عنه البخاري: "مُنْكَرُ الْحَدِيثِ".

- وقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ الْبَزَّارُ فِي مُسْنَدِهِ: حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعِيدٍ الْجَوْهَرِيُّ، حَدَّثَنَا رَيْحَانُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَظَّمَ شَأْنَ الْمَسْأَلَةِ، قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَاءَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْمِلُونَ أَوْثَانَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ تُرْسِلْ إِلَيْنَا رَسُولًا وَلَمْ يَأْتِنَا لَكَ أَمْرٌ، وَلَوْ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا لَكُنَّا أَطْوَعَ عِبَادِكَ، فَيَقُولُ لَهُمْ رَبُّهُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ تُطِيعُونِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَعْمِدُوا إِلَى جَهَنَّمَ فَيَدْخُلُوهَا، فَيَنْطَلِقُونَ حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْهَا وَجَدُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا، فَرَجَعُوا إِلَى رَبِّهِمْ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا -أَوْ: أَجِرْنَا- مِنْهَا، فَيَقُولُ لَهُمْ: أَلَمْ تَزْعُمُوا أَنِّي إِنْ أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ تُطِيعُونِي؟ فَيَأْخُذُ عَلَى ذَلِكَ مَوَاثِيقَهُمْ. فَيَقُولُ: اعْمَدُوا إِلَيْهَا، فَادْخُلُوهَا. فَيَنْطَلِقُونَ حَتَّى إِذَا رَأَوْهَا فَرِقُوا وَرَجَعُوا، فَقَالُوا: رَبَّنَا فَرِقْنَا مِنْهَا، وَلَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَدْخُلَهَا، فَيَقُولُ: ادْخُلُوهَا دَاخِرِينَ. فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: لَوْ دَخَلُوهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ كَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا» [١].

---

[١] **ضعيف**: رواه البَزَّار برقم (٣٤٣٣)، ثم قال: "وَمَتْنُ هَذَا الْحَدِيثِ غَيْرُ مَعْرُوفٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، لَمْ يَرْوِهِ عَنْ أَيُّوبَ إِلَّا عَبَّادٌ، وَلَا عَنْ عَبَّادٍ إِلَّا رَيْحَانُ بْنُ سَعِيدٍ". قُال ابن كثير: وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي ثِقَاتِهِ، وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَعِينٍ وَالنَّسَائِيُّ: لَا بَأْسَ بِهِ، وَلَمْ يَرْضَهُ أَبُو دَاوُدَ. وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: شَيْخٌ لَا بَأْسَ بِهِ، يُكْتَبُ حَدِيثُهُ وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ.

رواه البزار مِنْ طريقين: إحداهما (٤١٦٩) عن إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: "حَدَّثَنَا رَيْحَانُ بْنُ سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ، عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ". والثانية: (٤١٧٠) عن يحيي بن محمد السكن، قال: "نَا إِسْحَاقُ بْنُ إِدْرِيسَ، قَالَ: نَا أَبَانُ بْنُ يَزِيدٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، بِهِ نَحْوَهُ". وعَبَّاد بن منصور ضعيف، وإسحاق بن إدريس قال النسائي: "مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ". وقال الدارقطني: "مُنْكَر".

وأصل حديث ثوبان في صحيح مسلم في الفتن (٢٨٨٩) مِنْ طُرُق عن حماد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان مُخْتَصَرًا، كما ذُكِر في الفتن، والزيادة التي ذَكَرَها البَزَّار مُنْكَرَة، ولذا قال: "هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ ثَوْبَانَ لَا نَحْفَظُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ، وَلَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ إِلَّا عَبَّادُ بْنُ مَنْصُورٍ، وَلَا عَنْ عَبَّادَ إِلَّا رَيْحَانُ بْنُ سَعِيدٍ، وَلَا نَعْلَمُ حَدَّثَ بِحَدِيثِ أَبَانَ إِلَّا إِسْحَاقَ بْنَ إِدْرِيسَ، وَهُوَ غَرِيبٌ عَنْ أَيُّوبَ وَعَنْ يَحْيَى بْنَ أَبِي كَثِيرٍ، وَهَذَا الْحَدِيثُ فَمَتْنُهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ غَيْرُ مَعْرُوفٍ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ".

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٤٧): "رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِإِسْنَادَيْنِ ضَعِيفَيْنِ".

وأما الحاكم، فقال: (٤/٤٤٩) "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ، وَإِنَّمَا أَخْرَجَ مُسْلِمٌ حَدِيثَ مُعَاذَ بْنَ هِشَامٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحَبِيِّ، عَنْ ثَوْبَانَ مُخْتَصَرًا". وهو ليس كما قال، وهذا يدل على تساهله؛ فإنَّ في إسناده إسحاق بن إدريس، وهو مَترُوك، وحديث مسلم المُختصَر ليس فيه هذه الزيادة، وهي مُنْكَرَة كما قلت.

- وقَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الذُّهَلِيّ: حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ فُضَيْلِ بْنِ مَرْزُوقٍ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْهَالِكُ فِي الْفَتْرَةِ وَالْمَعْتُوهُ وَالْمَوْلُودُ: يَقُولُ الْهَالِكُ فِي الْفَتْرَةِ: لَمْ يَأْتِنِي كِتَابٌ، وَيَقُولُ الْمَعْتُوهُ: رَبِّ، لَمْ تَجْعَلْ لِي عَقْلًا أَعْقِلُ بِهِ خَيْرًا وَلَا شَرًّا، وَيَقُولُ الْمَوْلُودُ: رَبِّ لَمْ أُدْرِكِ الْعَقْلَ. فَتُرْفَعُ لَهُمْ نَارٌ فَيُقَالُ لَهُمْ: رِدُوهَا. قَالَ: فَيَرِدُهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللهِ سَعِيدًا لَوْ أَدْرَكَ الْعَمَلَ، وَيُمْسِكُ عَنْهَا مَنْ كَانَ فِي عِلْمِ اللهِ شَقِيًّا لَوْ أَدْرَكَ الْعَمَلَ، فَيَقُولُ: إِيَّايَ عَصَيْتُمْ، فَكَيْفَ لَوْ أَنَّ رُسُلِي أَتَتْكُمْ؟» [١].

- وقَالَ هِشَامُ بْنُ عَمَّار وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُبَارَكِ الصُّورِيُّ حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ وَاقِدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ حَلْبَسٍ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، عَنْ نَبِيِّ اللهِ ﷺ قَالَ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْمَمْسُوخِ عَقْلًا وَبِالْهَالِكِ فِي الْفَتْرَةِ، وَبِالْهَالِكِ صَغِيرًا. فَيَقُولُ الْمَمْسُوخُ: يَا رَبِّ، لَوْ آتَيْتَنِي عَقْلًا مَا كَانَ مَنْ آتَيْتَهُ عَقْلًا بِأَسْعَدَ مِنِّي -وَذَكَرَ فِي الْهَالِكِ فِي الْفَتْرَةِ وَالصَّغِيرِ نَحْوَ ذَلِكَ- فَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: إِنِّي آمُرُكُمْ بِأَمْرٍ فَتُطِيعُونِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا فَادْخُلُوا النَّارَ -قَالَ: وَلَوْ دَخَلُوهَا مَا ضَرَّتْهُمْ- فَتَخْرُجُ عَلَيْهِمْ قَوَابِصُ، فَيَظُنُّونَ أَنَّهَا قَدْ أَهْلَكَتْ مَا خَلَقَ اللهُ مِنْ شَيْءٍ، فَيَرْجِعُونَ سِرَاعًا، ثُمَّ يَأْمُرُهُمُ الثَّانِيَةَ فَيَرْجِعُونَ كَذَلِكَ، فَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَكُمْ عَلِمْتُ مَا أَنْتُمْ عَامِلُونَ، وَعَلَى عِلْمِي خَلَقْتُكُمْ، وَإِلَى عِلْمِي تَصِيرُونَ، ضُمِّيهِمْ، فَتَأْخُذُهُمُ النَّارُ» [٢].

هذا مُجْمَل الأحاديث المَرفوعة الواردة في الباب، وأكثرها ضعيف مُنْجَبِر إلا حديث أبي هريرة عند أحمد، فهو حديثٌ حسنٌ صالحٌ للاحتجاج، والأحاديث الواردة في الباب يَشُدُّ بعضها بعضًا، ويَقطع الناظرُ فيها أنَّ هذا اللفظ له أصلٌ مِنْ قول النبي ﷺ، قال ابن القيم: "فَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ يَشُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيَشْهَدُ لَهَا أُصُولُ الشَّرْعِ وَقَوَاعِدُهُ، وَالْقَوْلُ بِمَضْمُونِهَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ وَالسُّنَّةِ، نَقَلَهُ

[١] **ضعيف**: مسند البزار برقم (٢١٧٦)، وقال الهيثمي في المجمع (٧/٢١٦): "فِيهِ عَطِيَّة وَهُوَ ضَعِيفٌ".

[٢] **ضعيف**: ورواه ابن عدي في الكامل (١١٨/٥) مِنْ طريق عبد الصمد بن عبد الله، عن هشام بن عمار، عن عمرو بن واقد به. وقال بعد أنْ ساق أحاديث عمرو بن واقد عن يونس: "كُلُّهَا غَيْرُ مَحْفُوظَةٍ إِلَّا مِنْ رِوَايَةِ عَمْرُو بْنُ وَاقِدٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَهُوَ مِنَ الشَّامِيِّينَ مِمَّنْ يُكْتَبُ حَدِيثُهُ وَلَا يُحْتَجُّ بِهِ".

عَنْهُمُ الْأَشْعَرِيُّ فِي الْمَقَالَاتِ [١] وَغَيْرِهَا" [٢]، وقال ابن كثير: "أَحَادِيثَ هَذَا الْبَابِ مِنْهَا مَا هُوَ صَحِيحٌ، كَمَا قَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ حَسَنٌ، وَمِنْهَا مَا هُوَ ضَعِيفٌ يَقْوَى بِالصَّحِيحِ وَالْحَسَنِ. وَإِذَا كَانَتْ أَحَادِيثُ الْبَابِ الْوَاحِدِ مُتَعَاضِدَةً عَلَى هَذَا النَّمَطِ، أَفَادَتِ الْحُجَّةَ عِنْدَ النَّاظِرِ فِيهَا" [٣]، وقال ابن حجر الأشعري: "وَقَدْ صَحَّتْ مَسْأَلَةُ الِامْتِحَانِ فِي حَقِّ الْمَجْنُونِ وَمَنْ مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ مِنْ طُرُقٍ صَحِيحَةٍ" [٤].

سَرْدُ الْآثَارِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي إِثْبَاتِ الِامْتِحَانَ:

- روى ابن أبي حاتم في تفسيره تحت قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللهُ أَهْلَ الْفَتْرَةِ: الْمَعْتُوهُ وَالْأَصَمُّ وَالْأَبْكَمُ وَالشُّيُوخُ الَّذِينَ لَمْ يُدْرِكُوا الْإِسْلَامَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا أَنُ ادْخُلُوا النَّارَ، فَيَقُولُونَ: كَيْفَ؟ وَلَمْ تَأْتِنَا رُسُلٌ! قَالَ: وَأَيْمُ اللهِ، لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا. ثُمَّ يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ، فَيُطِيعُهُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُطِيعَهُ. قَالَ أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [٥]، وقال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، "حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ، قَالَ: ثَنَا الْحُسَيْنِ، قَالَ: ثَنَا أَبُو سُفْيَانَ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، نَحْوَهُ" [٦].

فبيَّن أبو هريرة في تفسيره لآية الإسراء أنَّ الله لا يُعذِّب أحدًا حتى يَبعَث إليه رسولاً، وأنَّه في الآخرة يَمتحِن مَنْ لم تَبْلُغْه الرسالة في الدنيا مِنْ أهل الفترة، ومَنْ أَنْكَرَ هذا الأثر مِنْ أهل البدع زَعَم أنَّ الآخرة ليست بدار تكليف فيَبعث الله فيها إلى أحد رسولاً، ونحن نُؤْمِن بأنَّ الله يَفعل ما يشاء، وسيأتي الرد على هذا الاعتراض.

[١] انظر: مقالات الإسلاميين (٢٩٦)، والإبانة (٣٣)

[٢] طريق الهجرتين وباب السعادتين - ط عطاءات العلم (٨٧٢/٢)

[٣] تفسير ابن كثير (٥/٨٥)

[٤] الفتح (٢٤٦/٣)

[٥] تفسير ابن أبي حاتم (٢٣٢١/٧)

[٦] تفسير الطبري = جامع البيان - ط دار التربية والتراث (٤٠٣/١٧)

ورواه عبد الرزاق عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللهُ أَهْلَ الْفَتْرَةِ، وَالْمَعْتُوهَ، وَالْأَصَمَّ، وَالْأَبْكَمَ، وَالشُّيُوخَ الَّذِينَ لَمْ يُدْرِكُوا الْإِسْلَامَ، ثُمَّ يُرْسِلُ رَسُولًا إِلَيْهِمْ أَنْ يَدْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: كَيْفَ وَلَمْ يَأْتِنَا رَسُولٌ؟ قَالَ: وَأَيْمُ اللهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا، ثُمَّ يُرْسِلُ إِلَيْهِمْ فَيُطِيعُهُ مَنْ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يُطِيعَهُ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾" [١] **وإسناده في غاية الصحة، وهذا يُمَثِّل اعتقاد أبي هريرة، فهل مَنْ يُكَفِّر مَنْ قال بالامتحان يُكَفِّر أبا هريرة!!! فإمَّا أنْ يقول به أو يُكَفِّر أبا هريرة، وإلى الله المُشتكى مِنْ سفاهة النَّظَّامِيَّة المَارقة.**

وهذا الأثر له حُكْم الرفع؛ لأنَّه لا يُقال بالرأي، فهو مِنَ الغيب الذي لا يُعلَم إلا بالخبر، قال ابن القيم: "وَرَوَاه مَعْمَرٌ، عَن ابْنِ طَاوسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، مَوْقُوفًا عَلَيْهِ. وَهَذَا لَا يَضُرُّ الْحَدِيثَ، فَإِنَّهُ إِنْ سَلَكَ طَرِيقَ تَرْجِيحِ الزَّائِدِ لِزِيَادَتِهِ فَوَاضِحٌ، وَإِنْ سَلَكَ طَرِيقَ الْمُعَارَضَةِ فَغَايَتُهَا تَحَقُّقُ الْوَقْفِ، **وَمِثْلُ هَذَا لَا يُقَدَّمُ عَلَيْهِ الرَّأْيُ؛ إِذْ لَا مَجَالَ لَهُ فِيهِ، بَلْ يُجْزَمُ بِأَنَّ هَذَا تَوْقِيفٌ لَا عَنْ رَأْيٍ**" [٢].

والصحابة أعلم الناس بالقرآن والسُّنَّة، وفِقههم هو المُعتبَر في فقه الشريعة؛ لأنَّهم أقرب عهدًا بالتنزيل وزمن البعثة والوحي والتشريع، وعَلِموا قرائن الأحوال التي حَفَّت به وأسباب نزوله، لذلك وجب العناية بتفاسيرهم وعدم الخروج على فهومهم وإجماعهم، قال الحاكم: "وَمِنَ الْمَوْقُوفِ الَّذِي يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ، مَا -رَوَى بِسَنَدِهِ- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٩]، قَالَ: «تَلْقَاهُمْ جَهَنَّمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَلْفَحُهُمْ لَفْحَةً فَلَا تَتْرُكُ لَحْمًا عَلَى عَظْمٍ إِلَّا وَضَعَتْ عَلَى الْعَرَاقِيبِ». قَالَ: **وَأَشْبَاهُ هَذَا مِنَ الْمَوْقُوفَاتِ تُعَدُّ فِي تَفْسِيرِ الصَّحَابَةِ، فَأَمَّا مَا نَقُولُ فِي تَفْسِيرِ الصَّحَابِيِّ مُسْنَدٌ، فَإِنَّمَا نَقُولُهُ فِي غَيْرِ هَذَا النَّوْعِ**، فَإِنَّهُ كَمَا -روى بسنده- عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: «كَانَتِ الْيَهُودُ تَقُولُ: مَنْ أَتَى امْرَأَتَهُ مِنْ دُبُرِهَا فِي قُبُلِهَا جَاءَ الْوَلَدُ أَحْوَلَ، فَأَنْزَلَ

[١] رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٥٤١)

[٢] طريق الهجرتين وباب السعادتين - ط عطاءات العلم (٨٧٠/٢)

اللهُ ﷻ: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]»، قَالَ: هَذَا الْحَدِيثُ وَأَشْبَاهُهُ مُسْنَدَةٌ عَنْ آخِرِهَا، وَلَيْسَتْ بِمَوْقُوفَةٍ؛ فَإِنَّ الصَّحَابِيَّ الَّذِي شَهِدَ الْوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فَأَخْبَرَ عَنْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي كَذَا وَكَذَا فَإِنَّهُ حَدِيثٌ مُسْنَدٌ" [١].

- وقال يحي بن سلام: حدثنا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: "ثَلاثَةٌ يَحْتَجُّونَ عَلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ مَاتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَرَجُلٌ أَدْرَكَ الإِسْلامَ هَرِمًا، وَمَعْتُوهٌ أَصَمُّ أَبْكَمُ" [٢].

- وعن أبي قِلابة، قال: "يُؤْتَى بِأَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُونَ أَوْثَانَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ، فَيَقُولُ اللهُ لَهُمْ: مَاذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، وَاللهِ مَا أَتَانَا لَكَ رَسُولٌ وَأَمَرَ، وَاللهِ لَوْ أَتَانَا لَكَ رَسُولٌ وَأَمَرَ كُنَّا أَطْوَعَ خَلْقِكَ لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ اللهُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرِي أَتُطِيعُونِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَأْخُذُ عُهُودَهُمْ وَمَوَاثِيقَهُمْ، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا فَادْخُلُوا النَّارَ، فَيَنْطَلِقُونَ، فَإِذَا رَأَوْهَا سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا، فَيَهَابُونَهَا، فَيَرْجِعُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، فَرِقْنَا، قَالَ: فَيَقُولُ: انْطَلِقُوا فَادْخُلُوهَا، فَيَفْعَلُونَ مِثْلَ مَا فَعَلُوا، فَإِذَا كَانَتِ الثَّالِثَةُ قَالَ: ادْخُلُوهَا دَاخِرِينَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَوْ دَخَلُوهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ كَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا" [٣].
قلت: **وهذا الأثر يدل على عذابهم بعد الامتحان ونَقُول به.**

- وعن مسلم بن يسار، قال: "ذُكِرَ لِي أَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَبْدٌ كَانَ فِي الدُّنْيَا أَصَمَّ أَبْكَمَ، وُلِدَ كَذَلِكَ، لَمْ يَسْمَعْ شَيْئًا قَطُّ، وَلَمْ يُبْصِرْ شَيْئًا قَطُّ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ قَطُّ، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: مَا عَمِلْتَ فِيمَا وُلِّيتَ، وَفِيمَا أُمِرْتَ بِهِ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، وَاللهِ مَا جَعَلْتَ لِي بَصَرًا أُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ فَأَقْتَدِيَ بِهِمْ، وَمَا جَعَلْتَ لِي سَمْعًا فَأَسْمَعَ بِهِ مَا أَمَرْتَ بِهِ وَنَهَيْتَ عَنْهُ، وَمَا جَعَلْتَ لِي لِسَانًا فَأَتَكَلَّمَ

---

[١] معرفة علوم الحديث (١/٢١)

[٢] تفسير ابن سلام (٢/٦٥٨)

[٣] الزهد لابن المبارك برقم ١٣٢٣

بِخَيْرٍ أَوْ بِشَرٍّ، وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَالْخَشَبَةِ، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: فَتُطِيعُنِي الْآنَ فِيمَا آمُرُكَ بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَعْ فِي النَّارِ، فَيَأْبَى، فَيُدْفَعُ فِيهَا" [١].

- وعن أبي صالح باذام مِنْ طريق عمرو بن ميمون، قال: "يُحَاسَبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلُ، فَيُدْخِلُ اللهُ الْجَنَّةَ مَنْ أَطَاعَهُ، وَيُدْخِلُ النَّارَ مَنْ عَصَاهُ، وَيَبْقَى قَوْمٌ مِنَ الْوِلْدَانِ وَالَّذِينَ هَلَكُوا فِي الْفَتْرَةِ وَمَنْ غُلِبَ عَلَى عَقْلِهِ، فَيَقُولُ الرَّبُّ ﷻ لَهُمْ: قَدْ رَأَيْتُمْ، إِنَّمَا أَدْخَلْتُ الْجَنَّةَ مَنْ أَطَاعَنِي، وَأَدْخَلْتُ النَّارَ مَنْ عَصَانِي، وَإِنِّي آمُرُكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا هَذِهِ النَّارَ. فَيَخْرُجُ لَهُمْ عُنُقٌ مِنْهَا، فَمَنْ دَخَلَهَا كَانَتْ نَجَاتُهُ، وَمَنْ نَكَصَ فَلَمْ يَدْخُلْهَا كَانَتْ هِلْكَتُهُ" [٢].

- وعَنِ الْحَسَنِ البصري، قال: "أَرْبَعَةٌ يُرَجُّونَ الْعُذْرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ مَاتَ قَبْلَ الإِسْلامِ، وَمَنْ أَدْرَكَهُ الإِسْلامُ وَهُوَ هَرِمٌ قَدْ ذَهَبَ عَقْلُهُ، وَمَنْ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لا يَسْمَعُ الصَّوْتَ، وَالَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ، فَكُلُّ هَؤُلاءِ يُرَجُّونَ الْعُذْرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيُرْسِلُ اللهُ ﷻ إِلَيْهِمْ رَسُولًا، فَيُوقِدُ نَارًا، فَيَأْمُرُهُمْ أَنْ يَقَعُوا فِيهَا، فَمِنْ بَيْنِ وَاقِعٍ وَمِنْ بَيْنِ هَارِبٍ" [٣].

فَبَعْدَ سَرْدِ هذه الآثار المَرفوعة والمَوقوفة، هل يقول عاقل شَمَّ رائحة العلم أنَّ مَنْ قال بالامتحان يَكْفُر!! قال ابن القيم: "وَهَذَا قَوْلُ جَمِيعِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ، حَكَاهُ الْأَشْعَرِيُّ عَنْهُمْ فِي كِتَابِ الْإِبَانَةِ الَّذِي اتَّفَقَ أَصْحَابُهُ عَلَى أَنَّهُ تَأْلِيفُهُ، وَذَكَرَهُ ابْنُ فُورَك، وَذَكَرَهُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ عَسَاكِر فِي تَصَانِيفِهِ" [٤]، وقال: "أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ يَشُدُّ بَعْضُهَا بَعْضًا؛ فَإِنَّهَا قَدْ تَعَدَّدَتْ طُرُقُهَا، وَاخْتَلَفَتْ مَخَارِجُهَا، فَيَبْعُدُ كُلَّ الْبُعْدِ أَنْ تَكُونَ بَاطِلَةً عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهَا، **وَقَدْ رَوَاهَا أَئِمَّةُ الْإِسْلَامِ وَدَوَّنُوهَا، وَلَمْ يَطْعَنُوا فِيهَا**" [٥].

---

[١] الزهد لابن المبارك برقم ١٣٢٢

[٢] أخرجه ابن أبي شيبة (١٧٣/١٣، ٤٥٥)

[٣] تفسير يحيى بن سلام (٦٥٨/٢)

[٤] أحكام أهل الذمة - ط عطاءات العلم (٢٥٦/٢)

[٥] أحكام أهل الذمة - ط عطاءات العلم (٢٦٤/٢)

وأمَّا الاعتراض على هذه الأحاديث بأنَّ الدار الآخرة ليست بدار تكليف: فنَقُول أنَّ التكليف يَنقطع بالدخول إلى دار القَرار، ويقع التكليف في البرزخ بسؤال المَلَكَيْن، وهو تكليف، وأمَّا عَرْصَة القيامة فقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، فهذا صريحٌ في أنَّ الله تعالى يدعو الخلائق إلى السجود يوم القيامة، وأنَّ الكفار يُحال بينهم وبين السجود إذ ذاك، وما ثبت في الصحيحين مِنْ حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما في الرَّجُل الذي هو آخر أهل الجنة دخولًا إليها، أنَّ الله تعالى يَأخذ عهوده ومواثيقه أنْ لا يَسأله غيرَ الذي يعطيه، وأنَّه يُخالفه ويَسأله غيرَه، فَيَقُولُ: «أَلَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، وَيْلَكَ ابْنَ آدَمَ مَا أَغْدَرَكَ» [١]، وهذا الغدر مِنْه لِمُخالفته العهد الذي عاهد ربَّه عليه، وهذه معصيةٌ مِنْه، وقال الحافظ عبد الحق في حديث الأَسْوَد: "قَدْ جَاءَ هَذَا الْحَدِيثُ، وَهُوَ صَحِيحٌ فِيمَا أَعْلَمُ. وَالْآخِرَةُ لَيْسَتْ دَارَ تَكْلِيفٍ وَلَا عَمَلٍ، وَلَكِنَّ اللهَ يَخُصُّ مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ، وَيُكَلِّفُ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ، وَحَيْثُمَا شَاءَ. لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ" [٢]، وقال ابن كثير: "وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ دَارُ جَزَاءٍ، فَلَا شَكَّ أَنَّهَا دَارُ جَزَاءٍ، وَلَا يُنَافِي التَّكْلِيفُ فِي عَرَصَاتِهَا قَبْلَ دُخُولِ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ، كَمَا حَكَاهُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ عَنْ مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنِ امْتِحَانِ الْأَطْفَالِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، وَقَدْ ثَبَتَتِ السُّنَّةُ فِي الصِّحَاحِ وَغَيْرِهَا أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَسْجُدُونَ للهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَلَا يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، وَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا، كُلَّمَا أَرَادَ السُّجُودَ خَرَّ لِقَفَاهُ. وَفِي الصَّحِيحَيْنِ فِي الرَّجُلِ الَّذِي يَكُونُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا أَنَّ اللهَ يَأْخُذُ عُهُودَهُ وَمَوَاثِيقَهُ أَنْ لَا يُسْأَلَ غَيْرَ مَا هُوَ فِيهِ، وَيَتَكَرَّرُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ. ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ" [٣].

---

[١] صحيح البخاري - ط السلطانية (١١٨/٨)

[٢] طريق الهجرتين وباب السعادتين - ط عطاءات العلم (٨٦٦/٢)

[٣] تفسير ابن كثير - ط العلمية (٥٤/٥)

الْجَمْعُ بَيْنَ النُّصُوصِ الْوَارِدَةِ فِي الْبَابِ

بعد أنْ قد تَقَرَّرَ بالأدلة أنَّ العذاب فرع عن إقامة الحجة الرسالية، والله ﷻ قد أَخْبَرَ أنَّ قومَ النبي ﷺ لم يأتهم نذير مِنْ قَبْلِه ﷺ، فقال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣]، وقوله: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ [يس: ٦]، وقوله: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤]، وأهل الفترة الذين لم تَقُم عليهم الحجة الرسالية في الدنيا وقد أَخْبَرَ النبي ﷺ أنَّهم يُمتحَنون في عَرَصَات يوم القيامة كما دَلَّت الآثار التي سُقناها في أهل الفترة، **والقول بالامتحان مُوافِق للقرآن وقواعد الشرع وهو تفصيل لِمَا أَخْبَرَ به القرآن أنَّه لا يُعذَّب أحد إلَّا بعد قيام الحُجَّة عليه، وهؤلاء لم تقُمْ عليهم حُجَّةُ الله في الدنيا، فالله يُقيم حجته عليهم كما أَخْبَرَ به نبيه ﷺ.**

وفي المقابل، قد دَلَّت الأدلة على عموم تعذيب مَنْ لَقِي الله كافرًا مُكَلَّفًا، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦١-١٦٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وفي السُّنَّة: عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، أَيْنَ أَبِي؟ قَالَ: فِي النَّارِ، فَلَمَّا قَفَّى دَعَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ»[١]، ونظيره ما روي عَنْ عَائِشَةَ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»[٢]، وفي حديث عبد الله مرفوعًا: «وَذَاكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا

[١] صحيح مسلم (١/١٩١)

[٢] صحيح مسلم (١/١٩٦)

نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ» [١]، قال الشافعي: "فَكَانُوا قَبْلَ إِنْقَاذِهِ إِيَّاهُمْ بِمُحَمَّدٍ ﷺ أَهْلَ كُفْرٍ فِي تَفَرُّقِهِمْ وَاجْتِمَاعِهِمْ، يَجْمَعُهُمْ أَعْظَمُ الْأُمُورِ: الْكُفْرُ بِاللهِ، وَابْتِدَاعُ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَسُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُهُ، مَنْ حَيَّ مِنْهُمْ فَكَمَا وَصَفَ حَالَهُ حَيًّا: عَامِلًا قَائِلًا بِسَخَطِ رَبِّهِ مُزْدَادًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ، **وَمَنْ مَاتَ فَكَمَا وَصَفَ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ: صَارَ إِلَى عَذَابِهِ**" [٢].

وعذابهم لا ينافي امتحانهم، بل تُقام عليهم الحجة في عَرَصَات القيامة ثم يُعذَّبون في نار جهنم، وهذا جَمْعٌ بين أدلة الباب كلها، وهو قول أهل السُّنَّة قاطبة كما وَرَدَت الأخبار والآثار بذلك، كما روي عن أبي قِلابة: «فَإِذَا كَانَتِ الثَّالِثَةُ قَالَ: **ادْخُلُوهَا دَاخِرِينَ،** قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَوْ دَخَلُوهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ كَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا» [٣]، وفي الحديث عن أبي هريرة مرفوعًا: «فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِعَنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنُ ادْخُلُوا النَّارَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا»، وقوله: "لو دخلوها" يدل أنَّهم لم يدخلوها، وهذا الفهم تؤيده الأصول.

وقد جَمَعَ الإمام يحيى بن سلَّام جمعًا حسنًا في هذا الباب، فقال: "نَرَى أَنَّ الَّذِي يَنْجُو مِنَ النَّارِ: مَنْ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ لا يَسْمَعُ الصَّوْتَ، وَالَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ، **وَالاثْنَانِ الآخَرَانِ لَيْسَ لَهُمَا عُذْرٌ: الَّذِي مَاتَ قَبْلَ الإِسْلامِ، وَمَنْ أَدْرَكَهُ الإِسْلامُ وَهُوَ هَرِمٌ قَدْ ذَهَبَ عَقْلُهُ،** وَهُوَ قَوْلُ اللهِ ﷻ: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ۝٦٩ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات: ٦٩-٧٠]" [٤].

[١] مسند أحمد - ط الرسالة (١٧٦/٦)

[٢] الرسالة للشافعي (١/ ١٢)

[٣] الزهد لابن المبارك برقم ١٣٢٣

[٤] تفسير يحيى بن سلام (٦٥٨/٢)

هَذَا مَا تَيَسَّرَ جَمْعُهُ فِي هَذِهِ العُجَالَةِ، وَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَهْدِي كُلَّ طَالِبِ حَقٍّ مُتَّبِعٍ لِلسَّلَفِ الصَّالِحِ غَيرَ مُبْتَدِعٍ وَلَا مُتَنَطِّعٍ وَلَا مُتَكَلِّفٍ بِرَأْيِهِ قَوْلًا لَيْسَ عَلَيْهِ سَلَفٌ وَلَا إِمَامٌ كَمَا رُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَنَّهُ قَالَ: "أَصْبَحَ أَهْلُ الرَّأْيِ أَعْدَاءَ السُّنَنِ، أَعْيَتْهُمُ الْأَحَادِيثُ أَنْ يَعُوهَا، وَتَفَلَّتَتْ مِنْهُمْ أَنْ يَرْوُوهَا، فَاشْتَقُّوهَا بِالرَّأْيِ، وَعَنْهُ أَيْضًا: اتَّقُوا الرَّأْيَ فِي دِينِكُمْ" [١]، وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ: "إِنَّمَا الدِّينُ بِالْآثَارِ لَيْسَ بِالرَّأْيِ، إِنَّمَا الدِّينُ بِالْآثَارِ لَيْسَ بِالرَّأْيِ، إِنَّمَا الدِّينُ بِالْآثَارِ لَيْسَ بِالرَّأْيِ" [٢].

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ



[١] ذكره الإمام ابن بطة في الإبانة الصغرى بلفظ: "وَتَفَلَّتَتْ مِنْهُمْ فَلَمْ يَعُوهَا، فَقَالُوا بِالرَّأْيِ" (ص١٢١)

[٢] شرف أصحاب الحديث (٦/١)